فاذا استكملت هذه الخصال في انسان وجب اخاؤه وتعين اصطفاؤه
وبحسب وفورها فيه يجب ان يكون الميل اليه والثقه به ويجب
ما ترى من غلبة احدها عليه يجعله مستعملا في الخلق الغالب عليه
فان الاخوان على طبقات مختلفه وانحاء متشعبه ولكل واحد
منهم حال يختص بها في المشاركه وثلمه يسدها في الموازره
والمضافره وليس تتفق احوال جميعهم على حد واحد لان التباين
في الناس غالب واختلافهم في الشيم ظاهر وقال بعض الحكما
الرجال كالشجر شرابه واحد وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى
منصور بن اسماعيل الفقيه فقال

بنو ادم كالنبت ونبت الارض الوان ... فمنه شجر الصندل والكافور والبان
ومنه شجر افضل ما يحمل قطران

ومن رام اخوانا تتفق احوال جميعهم رام متعذرا بل
لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلل في نظامه اذ ليس الواحد
من الاخوان يمكن الاستقلال به في كل حال ولا المجبولون على
الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا في جميع الاعمال وانما بالاختلاف
يكون الايتلاف وقال بعض الحكما ليس بلبيب من لم يعاشر من
لم يجد بدا من معاشرته وقال المامون الاخوان ثلث طبقات
طبقه كالغذا لا يستغنى عنه وطبقه كالدوا لا يحتاج اليه احيانا
وطبقه كالدا لا يحتاج اليه ابدا ولعمري ان الناس على وضع
لا الا الاخوان وليس من كان منهم كالدا من الاخوان المعروفين

فهو كالصورة الممثله يروقك حسنها ويخونك نفعها فلا هو
مشكور لنفع غيره ولا هو مذموم لقمع شره وان كان
بالذم اجدر وقد قال الشاعر

واسوأ ايام الفتى يوم لا يرى ... له احد يزري عليه وينكر

غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر من كان
شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به ... من اكثر الناس احسان واجمال

ومن يعين ولا يعان فهو لئيم كل ومهان مستذل
قد قطع منه الرغبه وبسط فيه الرهبه فلا خيره يرجى ولا شره
يؤمن وحسبك مهانة برجل يستثقل عند اقلاله ويستقل عند
استقلاله فليس لمثله في الاخا حظ ولا في الوداد نصيب وهو
ممن جعله المامون من دا الاخوان لا من دوايهم
ومن سمهم لا من غذايهم وقال بعض الحكما شر ما في الكريم
ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك شره وقال ابن الرومي

عذرنا النخل في ابدا الشوك ... يرد به الانامل عن جناه
فما للعوسج الملعون ابدى ... لنا شوكا بلا ثمر نراه

ومن يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع مشكور الصنع قد
حاز فضيلتي الابتداء والاكتفا فلا يرى ثقيلا في نايبه ولا يقعد
عن نهضه في معونته فهذا اشرف الاخوان نفسا واكرمهم طبعا
فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له مثل لانه البر الكريم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)